هل طفلك يكذب أو يسرق؟

لماذا يكذب الطفل

يكتسب الطفل قيمه ومثله العليا من عالم الكبار الذين يعيش معهم وإذا كان الطفل ينمو جسديا وعقليا واجتماعيا فإنه يحتاج إلى منظومة من القيم تدعم هذا النمو وتسهل اندماجه فى المجتمع. ويعتبر نمو القيم والأخلاق جزءا من نموهم الاجتماعى لأنه سينعكس حتما على سلوكهم.. وهناك محاولات عديدة حاولت أن تفسر كيف تتكون القيم فى الأطفال؟ وما هى مراحل تكوينها؟ ولعل أبرز هذه المحاولات ما اقترحه العالم «كولبرج» الذى افترض أن تكوين القيم يحتاج إلى ثلاث مراحل حتى تصل إلى المستوى المطلوب اجتماعيا ونفسيا.

بقلم :

د. علاء فرغلى

استشارى الطب النفسى

تعريف الكذب:

الكذب هو مخالفة الحقيقة وعدم مطابقة القول للواقع مطابقة تامة وهو صفة مكتسبة يتعلمها الطفل من المحيطين به، وينطوى الكذب على رذائل خلفية عديدة لأنه يستغل فى تغطية الغش والخيانة والسرقة وغيرها.

والكذب ذاته خيانة كبيرة روى أبوداود عن سفيان بن أسيد الحضرمى قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك مصدق، وأنت له به كاذب».

ويأخذ الكذب مظاهر وأشكالا عديدة فيكذب الطفل عنادا وتحديا لوالديه اللذين يعاقبانه بشدة ويكذب الطفل هربا من العقاب القاسى الذى يحطم نفسيته ويمحو شخصيته.

ويكذب الطفل عدوانا على أخيه الأصغر - مثلا - لأنه يغار منه غيره شديدة لأنه يحظى بحب والديه ويكذب الطفل ادعاء ويختلق أشياء لم تحدث بسبب الشعور بالنقص.

ومن الأخطاء التى يقع فيها الآباء والتى تؤدى غالبا إلى وقوع أطفالهم فى الكذب ما يلى:

بعض الآباء يتغافلون عن المبدأ التربوى المهم وهو أن التربية الفاضلة تعتمد أساسا على القدوة الصالحة والأسوة الحسنة فلا يجوز أن نكذب أمام الطفل بدعوى أنها «كذبة بيضاء» وننسى أن الطفل يسجل كل ما يدور أمامه ويقتدى به، ولو أننا عاقبنا الطفل على «كذبة بيضاء» كما نسميها لشعر بمرارة الظلم وفداحته، لأننا نستحل لأنفسنا ما نحرمه على أطفالنا.

وتذكر - عزيزى الأب - أنك تدرب طفلك على الكذب مثلا إذا طرق بابك طارق وطلبت من طفلك أن يقول له إنك غير موجود فهذا تدريب عملى على الكذب وتحريض عليه ويخطىء بعض الآباء حينما يجبرون طفلهم على الاعتراف بالخطأ ويضيقون عليه فى كل أقواله وأفعاله دون مراعاة لطبيعة شخصيته ومرحلة نموه، فيضطر الطفل إلى اصطناع الصدق حتى يرضى والديه وهو مضطر مكره.

ويخطىء بعض الآباء - كذلك - حينما يعاقبون طفلهم لأنه اعترف أمامهم أنه قال كذبا وارتكب خطأ وهم لا يدرون أنهم يعاقبونه على الصدق.

أنواع الكذب: منه الكذب العارض الذى يزول بنمو الطفل ونضجه ومنه الكذب المتصل بالظروف والعلاقات الأسرية ولكل منها علاج.

١ - **الكذب الخيالى:** أن الطفل حينما يتخيل أحداثا حدثت ويقصها على أنها واقع بالفعل لا نستطيع أن نصفه بالكذب لأنه هنا أقرب ما يكون إلى التسلية واللعب بالإضافة إلى أن قدراته وإمكاناته لا تسمح له بالتمييز بين الحقيقة والخيال فإذا جاء طفل فى الرابعة من عمره بقصة من نسيج خياله فلا يصح أن نعتبرها كذبا بالمعنى المعروف للكذب وذلك يفسر شغف الأطفال بسماع القصص الخيالية والأسطورية.

٢ - **الكذب الالتباسى:** الطفل هنا لا يستطيع التمييز بين الواقع والخيال، فكثيرا ما يسمع الطفل حكاية أو يرى حلما فى نومه أو يسمع قصة خرافية تملك عليه مشاعره، ثم تسمعه فى اليوم التالى يحكيها على أنها واقع حدث بالفعل وهذا ليس كذبا بالمعنى المعروف، ويزول مع مضي الوقت.

٣ ـ **الكذب الادعائى:** الطفل الذى يشعر بالنقص كثيرا ما يتحدث عن نفسه وصفاته ومواهبه وعن قدرات والديه ومكانتهما بهدف تعظيم الذات، وجعلها مثارا للإعجاب من المحيطين به.

وقد يكون السبب فى هذا النوع من الكذب قسوة الأسرة وإسرافها فى قمع الطفل وإذلاله وعقابه فيكذب الطفل هربا من العقاب.

وقد يدعى الطفل المرض لأنه لا يريد الذهاب إلى المدرسة ويسرف فى استدراء عطف المحيطين به.

٤ ـ **الكذب الغرضى أو الأنانى:** وهو كذب الطفل رغبة فى تحقيق غرض شخصى. أو الوصول إلى مآرب ذاتيه، كالحصول على اللعب والحلوى وغير ذلك والطفل عندما يفقد الثقة فى البيئة المحيطة به فإنه يشعر بالحاجة إلى امتلاك أكبر قدر ممكن من الأشياء وهو يكذب لتحقيق ذلك.

٥ ـ **كذب الانتقام والكراهية:** وهو كذب الأطفال ليتهموا غيرهم بأمور يترتب عليها عقابهم وسوء سمعتهم. ومن أسبابه الغيرة بين الأطفال وقد يحدث هذا النوع من الكذب داخل الأسرة بسبب التفرقة فى المعاملة بين الإخوة، مما يجعل هذا الطفل أو ذاك موضع كراهية وانتقام من الآخرين.

٦ ـ **الكذب الوقائى:** الطفل يكذب دفاعا عن نفسه، وللوقاية من العقوبة والسبب فى هذا الكذب المعاملة القاسية للطفل عقابا على أخطائه سواء فى الأسرة أو المدرسة فهو يكذب هربا من العقاب وكذلك ينتشر هذا النوع من الكذب فى الأسر التى لا يتفق فيها الآباء على طريقة واحدة فى معاملة الأبناء.

٧ ـ **الكذب العنادى:** الناشئ عن تحدى السلطة الممثلة فى الأسرة أو المدرسة خاصة إذا كانت شديدة الرقابة والضغط قليلة العطف والحنو لا تتفاهم مع الأطفال.

٨ ـ **كذب التقليد:** فقد يكذب الطفل تقليدا لأبويه أو من حوله على أساس أنهما قدوة له.

أساليب الوقاية وطرق العلاج:

– يجب أن ندرس كل حالة على حدة ونبحث عن الدافع الحقيقى للكذب ونساعد الطفل على التغلب على مشكلته فى ضوء معرفتنا بالأسباب وبشخصية الطفل ويحاول الوالدان ما يلى:

– أن يقلل الآباء بقدر الاستطاعه من استخدام الوعظ والنصح كأسلوب علاجى وأن يصرفوا جهدهم لمعرفة هل الكذب عارض أم أنه متكرر مزمن، وما الدوافع المسببة له.

– ينبغى أن يؤخذ الطفل بالرفق واللين إذا كذب وهو دون سن الرابعة، ونعرفه الفرق بين الخيال والواقع، وإذا كان فوق الرابعة أو الخامسة فيجب أن نحدثه عن الصدق وأهميته دون إكراه أو ضغط

– ينبغى أن يشعر الطفل دائما بعطف الأبوين وحنوهم عليه دون إكراه أو ضغط أو تشهير أو سخرية وأن تعالج المشكلة فى ضوء الظروف والعوامل المحيطة بالطفل كافة.

– ينبغى إشباع حاجات الطفل النفسية وأن ندرك متى يمكنه أن يفرق بين الواقع والخيال، ونبصره بأهمية الأمانة والصدق فيما يقوله ويفعله ونشجعه على ذلك، مع عدم المبالغة فى القلق على تنشئة الطفل على الصدق، وفى هذا الصدد يجب ألا ننسى قوله تعالى:

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) الأنفال

السرقة مشكلة تربوية

السرقة سلوك يعبر عن حاجة نفسية، ويمكن التعرف إلى هذا السلوك فى ضوء دراسة شخصية الطفل وطرق تكوينها فربما كانت السرقة وسيلة لإثبات الذات، وربما كانت تعبيرا عن ميل للتملك والاستمتاع بالقوة وقد تكون صورة من صور الاضطراب النفسى.

فى السنوات الأولى من حياة الطفل حتى سن الخامسة قد يحصل الطفل على أشياء لا تخصه، أى أشياء يملكها غيره، لكنه حين يفعل ذلك يفعله بشكل عفوى وعادة ما يكون سبب ذلك، أن نضج الطفل العقلى والاجتماعى الذى يجعله يميز بين الملكية العامة والملكية الخاصة لم يتحقق بعد وسلوك الطفل فى هذه الحالة قد لا يزعجنا كآباء ومربين . ولكن السرقة كسلوك مرضى لا يظهر على الأطفال إلا بعد سن الخامسة، وعادة ما يسبب قلقا شديدا للآباء والمعلمين الذين يتعاملون مع الطفل.

دوافع السرقة عند الأطفال:

هناك دوافع كثيرة ومختلفة وعندما نعالج أية حالة من حالات السرقة يجب أن نتعرف إلى الهدف الذى من أجله استولى الطفل على ما لا يخصه، ويمكن أن نلخص دوافع السرقة فيما يلى:

ـ قد يكون الدافع إلى السرقة جهل الطفل لمعنى الملكية الخاصة وغياب مفهوم احترام ملكية الآخرين، أى أن نموه لم يمكنه بعد من التمييز بين ما يملكه وما لا يملكه ، كما أنه قد لا يفهم أن أخذ أشياء غيره أمر سيحاسب عليه ومثل هذا الطفل لا يمكننا أن نعده سارقا. ويكفى لكى نعوده على سلوك الأمانة أن ننمى فكرته عن الملكية، وذلك بأن نجعل له أدوات خاصة يتناول بها الطعام مثلا، أو مقعدا خاصا، وطبقا خاصا وأقلاما خاصة.. إلخ

وقد يكون الدافع إلى السرقة حرمان الطفل من أشياء ليس بمقدوره الحصول عليها، فيشعر بحاجة ملحة أو رغبة فى الاستيلاء عليها، فيدفعه هذا إلى سرقة النقود لشراء هذه الأشياء.

وربما يكون الدافع للسرقة الرغبة فى حصول الطفل على مركز مرموق بين أقرانه فقد يسرق طفل للتفاخر بما لديه أو ليقصده زملاؤه فيعطيهم مما سرق، ومثل هذا الطفل يعانى عادة من شعور شديد بالنقص، وقد يكون سبب السرقة لدى بعض الأطفال هو تقليد أقرانهم فى البيئة التى يعيشون معا فيها.

وقد يسرق بعض الأطفال لشغل وقت الفراغ فيسرق الطفل نقودا من المنزل للذهاب إلى الأماكن العامة ومصاحبة أقران السوء من زملائه ويحدث ذلك عادة للأطفال الذين يعيشون فى جو أسرى مضطرب لا يتصف بالأمن والطمأنينة ومن ثم تنعدم فى هذا الجو الأسرى الرقابة من أحد الوالدين أو كليهما.

ويمكن أن يلجأ الطفل إلى السرقة فى الأسر التى تعودت فيها الأم على الاحتفاظ بكل شىء مغلق وبعيد عن متناول الأطفال، وهذه السرقات تعبر عن رغبة الطفل فى الاستطلاع والمعرفة والوصول إلى ما تحتويه الأماكن المغلقة لإشباع فضوله فإذا عوقب على هذه الأفعال فقد يستمر فى سرقة بعض الأشياء للانتقام من الأم وقسوتها وهنا نقول إن الدافع إلى السرقة هو الانتقام.

وقد يكون الدافع إلى السرقة إشباع ميل أو عاطفة أو هواية كميل الطفل إلى ركوب الدراجات أو شراء ما يلزمه لممارسة هواية خاصة. وقد يتولد الدافع إلى السرقة نتيجة نشأة الطفل فى أسرة متصدعة أو منطقة موبوءة ، عودته على السرقة والاعتداء على ممتلكات الآخرين وتشعره السرقة عادة بنوع من القوة ونشوة الانتصار وتقدير الذات، لأن بإمكانه الإفلات من العقوبة.

ـ وقد يكون وراء السرقة أيضا الضعف العقلى أو انخفاض الذكاء كأن يقع الطفل تحت سيطرة أولاد أذكياء من أقرانه يوجهونه إلى السرقة ويشجعونه عليها ويزينون له سهولة الفعل وغياب العقاب، وقد يسرق الطفل لأنه مريض بمرض نفسى أو عقلى.

ومن ذلك يتبين لنا أن أهم الدوافع التى تدفع الأطفال إلى السرقة ترجع إلى أسباب مختلفة أهمها الأسباب الانتقامية، الاقتنائية، الاندفاعية، العلاقاتية، الاكتئابية، التعويضية أو الأسباب المرضية.

بعض ردود أفعال الآباء الخاطئة

كثيرا ما تصدر عن الآباء عندما يكتشفون أن ابنهم قد سرق شيئا ما ردود أفعال متباينة خاطئة يمكن تلخيصها فيما يلى:

ـ حالة من الذعر تنتابهم عندما يفاجأون بمثل هذا العمل، ثم تجسيمهم للأمر وتصورهم أن ما وقع هو كارثة كبرى.

ـ كثرة العقوبات : صحيح أن مبدأ العقاب ليس سيئا فى ذاته، فالطفل يتقبل فكرة أنه يستحق عقوبة تتناسب مع الخطأ الذى ارتكبه، ولكن يجب ألا نبالغ فى عقابه إلى

الطفل عندما يفقد الثقة فى البيئة المحيطة به، فإنه يشعر بالحاجة إلى امتلاك أكبر قدر ممكن من الأشياء، وهو يكذب لتحقيق ذلك

حد أن نبطش به، وإلا فإننا ربما أيقظنا فى الطفل تلك النوازع الداخلية التى حفزته إلى السرقة.

- قد تلجأ بعد الأمهات «أو المدرسات» إلى العقوبة التى تنال من كرامة الطفل، كأن تجبر الطفل على الاعتراف بجرمه ثم عقابه أمام أفراد الأسرة وهم مجتمعون أو أمام التلاميذ فى الفصل.. إلخ

- قد يغفر الأباء للأبناء أخطاءهم بل أكثر من ذلك قد يمتدحون الطريقة التى سرق بها الأبناء ويصفونها «بالمهارة» والذكاء

الوقاية والعلاج:

أولا: على الوالدين أن يتجنبا الاندفاع إلى إشعار الطفل بسوء ظنهما فيه وتخوفهما منه، وعدم ثقتهما فى تصرفاته، كأن يقفلا جميع الأدراج مثلا بالمفتاح، أو أن يسرفا - فى الوقت نفسه - فى الثقة بالطفل. كأن يتركا مبالغ كبيرة من النقود ملقاة هنا وهناك فى متناول يده فإن هذا إغراء له بالسرقة

فإذا وقعت السرقة فيجب ألا يخفيا على الطفل علمهما بها، ولكن لا على أنها «سرقة» بل على أنها «خطأ» وقع لا أكثر فلا يغلظا له القول أو يذكراه من حين لآخر بما صنع، بل عليهما أن يجعلاه يشعر بأنه مازال يحتفظ بثقتهما به.

ثانيا: على الوالدين أن يواجها الموقف على حقيقته، وذلك بأن يتحدثا إلى الطفل بصراحة فكلما كنا صريحين معه، ازداد فهما لما نقول، وكلما أحس بذلك استراح، واطمأن للكبير الذى يناقشه.

ثالثا: على الوالدين إفهام الطفل حقوقه وواجباته، وأن هناك أشياء من حقه الحصول عليها وأشياء ليست من حقه، ويجب ألا تمتد يده إليها، بالإضافة إلى إرشاده إلى الطريق الذى يجب أن يسلكه فى المستقبل، وينصح علماء الصحة النفسية أن نروى للطفل القصص الشيقة عن السرقة واللصوص وما يلقونه من عقاب وسوء معاملة ونهاية سيئة بينما يكون جزاء الأمانة الشعور بالسعادة وتلقى المكافأة ورضا المجتمع وتقديره.

رابعا: على المربين أن يدرسوا كل حالة على حدة، وبمعزل عن غيرها من الحالات. فهناك أولاد يسرقون لأنهم ضحية قدوة سيئة قد تكون فى عائلاتهم ذاتها.

خامسا: يتعين على المدرسين فى المدارس الابتدائية الاهتمام بتوضيح مدى الاحترام والتقدير والمكافأة للأطفال الذين يصدرعنهم سلوك يدل على الأمانة والصدق.

سادسا: يتعين على وسائل الإعلام التركيز على قصص الأمانة وتقدير الأشخاص الأمناء والاهتمام بهم، ولا يكون كل تركيزها على السرقات وحوادث الاحتيال.

دور العلاج النفسى فى التغلب على مشكلة السرقة:

فى العادة لا يلجأ الوالدان إلى الطب النفسى المختص لعلاج ابنهما إلا إذا تفاقمت حالته وأصبح من الضرورى الذهاب إلى العيادة النفسية، وفى علاج حالة السرقة قد يلجأ الطبيب النفسى إلى علاج المشكلة علاجا جماعيا أو فرديا وقد يحتاج الأمر إلى العلاج السلوكى وذلك بتعديل سلوكيات الطفل السارق وبناء الوان سلوكية جديدة، أو يضطر إلى العلاج البيئى والأسرى والقصد منه اصلاح البيئة والتغلب على العوامل المرضية فيها.

ويعتبر العلاج النفسى باللعب من أنجح العلاجات لمشكلة السرقة فمن خلاله يعطى المعالج الطفل الفرصة لكى يخرج عن طريق اللعب ما تراكم لديه من مشاعر مختلفة كالتوتر والإحباط وعدم الطمأنينة والعدوان. ويمكن باستخدام اللعب أن نعود الطفل على احترام ملكية الآخرين ونغرس فى نفسه الأمانة والشعور بها عندما نضع فيه الثقة كاملة بأن نجعله مثلا مسئولا عن الأشياء أو اللعب التى تخص الآخرين فهذا يشعر الطفل بالأمان ويستطيع أن يتفاعل مع الموقف ويتخلص من مأزق السرقة كمشكلة واضطراب نفسى.

الحب الحقيقى

قررت مدرسة روضة أطفال أن تجعل الأطفال يلعبون لعبة لمدة أسبوع واحد فطلبت من كل طفل أن يحضر كيسا به عدد من ثمار البطاطا

وعليه أن يطلق على كل بطاطاية اسم شخص يكرهه.

وفى اليوم الموعود أحضر كل طفل كيسا وبطاطا موسومة بأسماء الأشخاص الذين يكرهونهم.. بالطبع لم تكن مديرة المدرسة من ضمن قائمة الأسماء!! العجيب أن بعضهم حصل على بطاطا واحدة وآخر بطاطتين وآخر ٣ بطاطات وآخر على ٥ بطاطات وهكذا

●●●

عندئذ أخبرتهم المدرسة بشروط اللعبة وهى: أن يحمل كل طفل كيس بطاطا معه أينما يذهب لمدة أسبوع واحد فقط.. بمرور الأيام أحس الأطفال برائحة كريهة تخرج من كيس البطاطا وبذلك عليهم تحمل الرائحة وثقل الكيس أيضا

وطبعا كلما كان عدد البطاطا اكثر فالرائحة تكون أكثر والكيس يكون أثقل!! بعد مرور أسبوع فرح الأطفال لأن اللعبة انتهت!

سألتهم المدرسة عن شعورهم وإحساسهم أثناء حمل كيس البطاطا لمدة أسبوع فبدأ الأطفال يشكون الإحباط والمصاعب التى واجتهتهم أثناء حمل الكيس الثقيل ذى الرائحة النتنة أينما يذهبون!!

●●●

بعد ذلك بدأت المدرسة تشرح لهم المغزى من هذه اللعبة

قالت المدرسة: هذا الوضع هو بالضبط ما تحمله من كراهية لشخص ما فى قلبك!! فالكراهية ستلوث قلبك وتجعلك تحمل الكراهية معك أينماذهبت فإذا لم تستطيعوا تحمل رائحة البطاطا لمدة أسبوع.. فهل تتخيلون ما تحملونه فى قلوبكم من كراهية طول عمركم.

●●●

ما أجمل أن نعيش هذه الحياة القصيرة بالحب والمسامحة للآخرين وقبولهم كما هم عليه!! وكما يقال:

الحب الحقيقى ليس أن تحب الشخص الكامل!! بل أن تحب الشخص غير الكامل بشكل صحيح وكامل.